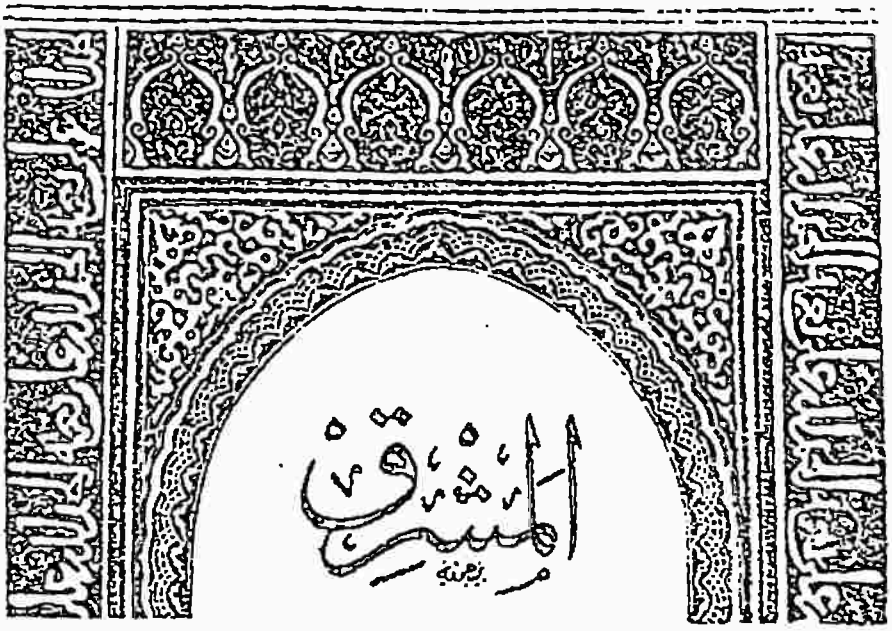

السنة السابعة والثلاثون — كانون الثاني – اذار ١٩٣٩

بشأن قواعد العربيّة

ردٌّ على من حسنت نيّته ، وساء رأيه

بقلم ادوار مرقص
من اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق

اطلعت في احد اجزاء الهلال ، منذ اشهر ، على مقال ضافي الذيول للاستاذ الكريم حسن الشريف عنوانه « تبسيط قواعد اللغة العربية » . ولا اشك ان الرجل مخلص صالح النية في ما كتب وارتأى ونقد وانتقد ، راسماً خطة جديدة لقواعد اللسان العربي بقصد تمهيد سبيله وتسهيل تحصيله على طلابه . ولكن اخلاصه لا يعني انه اصاب المحجة ، واجاد في ابراز الحجة . كلّا انه كان على مراحل شاسعة من الصواب وسداد الرأي وقوة الاحتجاج . وكل ما يستحقه الكريم المخلص مثله لين لهجة في الخطاب والعتاب .

من دواعي الاسف والاستغراب معاً ان رجلاً غزير العلم والفهم مثل الاستاذ حسن الشريف يتسرّع في حكمه بشأن قواعد العربية ، وهو شأن في منتهى الخطورة ، فيجيء رأيه بباب تسرّعه قطيرًا ، ليس فيه من الاختبار كثير ولا قليل . يطالبنا بأن نحذف قسماً كبيرًا من قواعد العربية ، ونقلب رأساً على عقب قسماً ثانياً منها ، ونبقي قسماً ثالثاً على حاله . وهو لم يعيّن ويحدّد هذه الاقسام . ولكنه اشار الى كل منها بالامثلة تاركاً التعيين والتحديد لجمهور العلماء ، ربما يعون نصيحته ومشورته ، وتصحّ عزيمتهم على انفاذ تلك الخطة .

يطالبنا ان نقول : « قُتِلَ علياً » بنصب نائب الفاعل ، عوض « قُتِلَ عليٌّ » ؛ و « يا محمداً » عوض « يا محمدُ » ؛ و « جاء ابرهيمَ » بالتنوين عوض « جاء ابرهيمُ » بعدم التنوين ؛ و « خمسة عشرة امرأة » عوض « خمس عشرة امرأة » ؛ و « اربعَ عشرَ رجلًا » عوض « اربعة عشرَ رجلًا » ؛ و « خمس منات تفاحة » عوض : « خمسمئة تفاحة » ؛ و « زعم الفرزدق ان سيقتلَ مربعاً » بنصب سيقتل عوض رفعه . ثم علينا ان نقول في جمع كاتب كاتبون فقط . وليس لنا ان نقول كتّاب وكتبة . وعلينا ان نقول : « ما قام الا زيداً » عوض « ما قام الا زيدٌ » و « ما فلان الا عدوًّا لنيماً » عوض : « ما فلان الا عدوّ لئيم » .

هذا قليل من كثير ما يرتئيه من التبديل والتغيير في قواعد لغتنا بحجة تسهيلها ، او حسب تعبيره ، بحجة تبسيطها ؛ وهو مع ذلك يقول : « يمكننا ان نصنع بلغتنا هذا الصنيع دون مساس بجوهرها واساسها . » ولعمر الحق لا ادري اين يكون جوهر اللغة واساسها اذا لم يكونا في قواعدها واصولها ؟

رويدك ! رويدك ! يا اخانا الحسن الشريف ، ان اقتراحك غير حسن وغير شريف .

تقول : اذا قلنا « يا محمداً » عوض « يا محمدُ » فمحمد يسمع نداءنا . وازيدك انا مدداً ونجدةً ، وابشرك ان محمداً يسمعنا ايضاً ولو ناديناه « يا محمد » ، منوّناً مخفوضاً . . . ثم قلت : اذا قلنا قُتِلَ علياً عوض قُتِلَ عليٌّ ، علم السامع ان علياً اصبح مقتولًا لا قاتلًا . وابشرك ان السامع يظل عالمه بهذا الخبر على حاله ولو قلنا : « قُتِلَ عليَ » ، منوّناً مخفوضاً . . . افهكذا تكون شروط الحظر والجواز

عنـدك ؟ وكيف نقع في التشويش والفوضى اذا لم تخطط طريقها على هذا الصيد ؟ ...

ان اعظم اساس بنيت عليه مقالك واقتراحك هو تذكيرك لنـا ان اللغة ينبغي ان تُتخذ وسيلة لا غاية . فهي وسيلة تفاهم لا اكثر ولا اقل . نعم انها نظرية صحيحة في اجمالها شديدة الوضوح تكاد تدخل في البديهيات ، فكيف ينكرها عاقل منصف ؟ ولكن لا تنسَ انه يقترن بوسيلة التفاهم امر آخر عند اهل الفهم والذوق . هو الاجادة في استخدام هذه الوسيلة . هو حسن الاداء . ومن هنا تنشأ البلاغة والدقة والرشاقة بكل ما لهـا من انواع وقوالب . والا كنا سواء نحن والاطفـال والمجانين والحيوانات العجم . فانها كلها بنطقها او باشاراتها تتفاهم وتعبر عن اغراضها . اكذلك ترضى ان يكون كلام الخاصة ولغتهم الفصحى فيما بينهم ؟... وكل من انعم النظر في اقتراحك رأى في نتائجه ما يمسّ جانباً غير يسير من دقائق وخصائص اللغة الفصحى ، ومن ثم يجني على بلاغتها . ومن شواهد ما ذكر بعض ما اثبتُهُ في كتابي « ذخيرة المتأدب » من الطرف الإعرابية ، وهي جمل يختلف اعراب كل منها في حالتين او بضع حالات حسب اختلاف المعنى المقصود منها . واظن كل لغة راقية لا تخلو مما يشبه هذا المظهر الانيق في وجوه تعبيرها . ولا يُكتفى فيها ببساطة القواعد والمصطلحات ، ومن ثم ببساطة الاداء الناجم عنها مما هو مطبوع بطابع الخشونة والجفاف . إلّا في لغيات الحمّالين ، والبحّارة ، والحوذيّة ، ومسّاحي الاحذية ، والخدم واضرابهم . او في لغـة السبيرانتو المخترعة حديثاً والمقصود بقوامها السطحي تعميم نشرها لاجل التفاهم بها في ما قرب تناوله وكثر تداوله من احوال المعيشة . وهـذه دركات نأبى ان ينحط اليها لساننا المبين .

* * *

واغرب ما استغربته وارتعت لهُ ، ايها الاخ الكريم ، ما جعلته لمقالك صدراً وبراعة مطلع في تشبيك دارس اللغة العربية برحّالة مخاطر مغامر يقصد برحلته احد القطبين . ودارس غيرهـا من لغات العصر بـائع اعتيادي يقصد جهة من

جهات العالم المتمدن حيث لا عناء ولا عذاب ولا مجاهل ولا مخاوف بل امن ووسائل راحة ورغد وسرور ، كيفما اتجه واينما حلّ .

اسرفت ، ايها الفاضل ، بهذا التشبيه اسرافاً فظيعاً ليتك كفيتنا مؤونته وكفيت نفسك مغبته الادبية بالتريّث والتأني قبل الاقدام عليه . وبرهاننا في ذلك برهان عملي عياني ، فهو منتزع من وقائع احوالنا الراهنة . اخبرني اي تلميذ متوسط الفهم والاجتهاد من طلّاب لغتنا العربية درسها ، بعد ما ترعرع ، سبع او ثماني سنوات ، اي من سن الثانية عشرة او الثالثة عشرة الى سن العشرين ، ولم يبلغ منها درجة حسنة مقبولة في قواعدها وانشائها وتفهم آثارها الادبية نظماً ونثراً ، بحيث تصبح عثراته في ميدانها قليلة مغتفرة . وهذه نتيجة كافية وافية لجمهور الناشئة والمتأدبين . واما ان نقيم النكير على الناشي. اذا زلّ قلمه في اثناء مقال طويل عريض بست او سبع هفوات فهو تعنت وحكم جائر ينبغي ان تتنزّه عنه انت وامثالك من اولي الفضل ، لانكم تعلمون علم اليقين ان درجة التفوق والتبريز لا يطالب بها الا كبار الاساتذة واهل الاختصاص ، فانهم قد وقفوا حياتهم على الدرس والبحث والتنقيب بشأن فروع العلم التي اختاروها . ولا غرو فهكذا شأن زملائهم من الاساتذة والعلماء في سائر اللغات . ثم اخبرني الا يحتاج ايضاً دارس الفرنسية او الانكليزية او الالمانية او الايطالية اوغيرها الى المدة التي ذكرناها اي ٧ او ٨ سنوات (علاوة على سنوات الدراسة التمهيدية في طور الطفولة) لكي يحصل في احدى هذه اللغات الدرجة التي حصلها دارس العربية في المدة نفسها . وهي درجة حسنة مقبولة لكنها لا تعادل ولا تجاور درجة عالم او استاذ كبير . فما دام الامر كذلك بشهادة الالوف وعشرات الالوف من الناشئة الذين درسوا العربية وغيرها من لغات العصر ، فايّ مسوّغ يبقى لتهويلك بصعوبة درس العربية وتخفيفك من مصاعب درس سواها حتى جعلت لساننا بمقام القطبين وألسنة الاجانب بمقام مصر او سورية او فرنسة او ايطالية ؟

ومن المؤسف انك لم تكتفِ عند هذا الحدّ باستعجالك في الحكم غير موازن ولا مقارن بين وجوه البحث المختلفة ، بحيث تبنى المحاكمة على الانصاف

ونفاذ البصيرة ، بل انتقلت منه الى احكام اخرى جائرة او غير ناضجة . فاشرت الى عدة مصاعب في قواعد العربية ولم تشر الى شيء من مصاعب الفرنسوية التي التفتَ اليها على وجه خاص . وذكرت نحو عشرة الفاظ في نحو عشر آيات من القرآن جاءت مخالفة حسب ظاهر الامر لقواعد النحو . واتخذت ذلك دليلاً كافياً وافياً على ان للقرآن نحواً خاصاً ودراسة خاصة ، فندرس قواعد العربية ومتنها وآدابها لا يجدي المتعلم شيئاً ازاء الكتاب المذكور . ولم تعلم قبل حكمك هذا ان جزئيات الامور تمنع حقوق الكليات ، وان النادر يرجح على الشائع المستفيض ، وان شوارد الكلام تلغي اصوله وقواعده . ناسياً ان حالة اللغة العربية بعد تدوينها هي غير حالتها القديمة قبل ان تدوّن ، واننا لا بد ان نعثر في اقوال الفصحاء من الجاهليين والمخضرمين على اشياء تخالف ما عرفناه من القواعد العامة اما شذوذاً ، واما بتعليل قريب او بعيد ، واما تبعاً لمذهب من القول كان حياً ثم باد . وهذه الاشياء المخالفة للقواعد ادخلها ايمة اللغة في سلك واحد وجعلوها مما يحفظ ولا يقاس عليه .

* * *

ثم نسيت ، او تناسيت ، ان اقتراحك الذي يقضي بالشيء الكثير من الحذف والتبديل في قواعد العربية ان نفذ اقام سداً كثيفاً من الحديد بيننا وبين تراثنا الادبي العظيم الذي تركه لنا اسلافنا ، فتنقطع الصلة الفكرية بيننا وبينهم ، ونصبح جاهلين الشيء الكثير من دقائق ما ارادوه في شعرهم ونثرهم ومصنفاتهم القديمة ، وفي طليعتها القرآن وما بني عليه من كتب الاحاديث والفقه والشريعة . كل ذلك اتيته ، وطاوعتك عليه مروءتك وعروبتك . ولماذا كل هذا التهديم والتدمير ؟ تقول : لاجل تبسيط قواعد اللغة العربية . ولكننا اريناك بالمثال المحسوس ان قواعد لغتنا لا تقتضي من الزمان اكثر مما يقتضيه غيرها . وهبها اقتضت اكثر من سواها سنة او سنتين فهل ترى هذه العلاوة ويلاً عظيماً لا يحتمل ، ولكنك لا ترى شيئاً من الويل في تلك المشوهات وتلك المحذورات التي يقضي بها اقتراحك . صدقني

انه ما على هذه الصورة يسمى المجدّد مصلحاً كبيراً . ولا على هذه الصورة ينبغي للمرء ان يحسب نفسه قد زين بيت آبائه واجداده ، وتمم نواقصه ، وادخل عليه انابيب الماء العذب والنور الكهربائي — خلافاً لما زعمته وادعيته — ولكنه يكون قد افسد هندسة البيت ، ومزّق متاعه ، وطمس نقوشه ، وزعزع اساسه .

* * *

وفي جملة ما عرضت له من مصاعب القواعد في لغتنا اختلاف حركة العين من الفعل المجرد الثلاثي ماضياً ومضارعاً ، وقد قدمت مثالاً على ذلك الفعل « عـنَ » وقلت اذا برزت هذه اللفظة امام عين القارئ حار في قراءتها امضمومة عينها ام مفتوحة ام مكسورة . قلتَ لا يدري القارئ شيئاً من ذلك ولو كان داريـاً قواعد النحو بجملتها وتفصيلها من الكفراوي الى الاشموني مارّاً في دراسته بابن مالك وابن عقيل . وفي هذا القول تحامل . ولكني لا اظنك تعتمده فهل سهوت عن ان السماعيات في كل اللغات هكذا شأنها . تؤخذ بالنقـل والرواية الوثيقة عن اصحاب اللغة الاولين ، واما كن البحث عنها افواه العارفين وبطون المعجمات . ولكن مما يخفّف خطبها ان معظمها يصبح بطول التداول والاستعمال معروفاً عند المتوسطي العلم ، فضلاً عمن فوقهم . وحركة عين المجرد الثـلاثي عندنا تحسب اجمالاً من هذا النوع السماعي . فما بالك اسنكرتها كل هذا الاستنكار وغضضت الطرف عما هو اصعب واقطع منها بكثير في غير العربية .

غير ان تصديك لهذه الناحية من البحث ذكرني ناحية اخرى تتصل به واريد ناحية الهجاء في لغتنا ، اي رسم الحروف ، وهي ناحية لم تعرض لهـا بالذات ولكني ارى ان اعرض انا لهـا ، اتماماً للفائدة ، ورفعاً لوهم طارئ على اذهان بعض الاخوان ، حتى كاد يتحول فيهم الى عقيدة راسخة وهي في غير موضعها .

يقولون ان الهجاء في لغتنا عويص ناقص الدلالة يجعل قراءة الكلمات لغزاً من الالغاز فاذا كتبنا « اقدم » مثلاً فلا نعلم كيف نقرأها : اهي « أقدَمَ » ام « أقدِمْ » ام « أُقدِم » ام « أُقدِم » ام « أَقدَمُ » ام « أُقدَمُ » ام « أُقدِمُ » فان

كتابتها تحتمل هذه الاوجه كلها في القراءة . ثم يقولون : هل بلية علينا اعظم من هذه البلية !

على رسلكم ، ايها الغاضبون الواهمون. لو كان الامر في صعوبته الى حدّ ما تتصوّرونه وتصوّرونه لغيركم لما استطاع اقدركم واذكاكم ان يقرأ قراءة صحيحة سطرًا واحدًا قصيرًا . ولكننا نرى اضعفكم واغباكم يقرأ بسهولة وغير خطإ عشرين سطرًا طويلًا . ولا بدع فان قرائن اللفظ والمعنى في الكلام السابق واللاحق تساعده على صحة القراءة .

هذا من جانب . وهناك جانب آخر يساعد الجانب الاول في تدارك هذه الحال ، بل يكفل بازالة الالتباس وسدّ الثلمة ، وهو ان لا تبخل اقلامنا ومطابعنا بقليل من الحركات والضوابط على الكلمات التي نرسمها . ويكفي ان نستعمل الحركات والضوابط لربع او خمس حروف الكلمات ، اي لما يحتاج منها الى ذلك ، تاركين بقية احرف الكلمة بغير شكل . فاذا اردنا « دُحرِجَ » مثلًا مبنيًا للمجهول اكتفينا بضمّ اوله هكذا « دُحرج » . واذا اردنا « ذَهَبتْ » اكتفينا باسكان تائه ، وهلمّ جرًّا . فهل في هذا التدارك عناء كبير او خسارة من الوقت جسيمة ؟ كلا . ان حرصنا على شكل مواضع يسيرة يحلّ المعضلة . وتظلّ الكتابة في لغتنا ، مع ذلك ، اقل استلزامًا للعناء والوقت من الكتابة في لغات الفرنجة . لان الكتابة العربية تشبه الكتابة المختزلة اذ لا ترسم غالبًا الا جزءًا من الحجم الاصلي للحرف . فترسم « ج » من ج ، و « ن » من ن ، و « ص » من ص الخ . وهذه مزية للعربية لا يستهان بها ، ولكننا قلما احسسنا بها وفكرنا فيها لانها الفتنا والفناها منذ نعومة اظفارنا .

لتتعود استعمال القليل من الحركات والضوابط وكفى . فلا داعي ولا ضرورة لما ارتآه بعض الاخوان من وضع علامات جديدة نجعلها في صلب الكلمة وتقوم مقام الحركة والضابط . فهذه الطريقة تستلزم من العناء والوقت اضعاف ما يستلزمه القليل من الشكل الذي نشير به .

* * *

عدنا الى استئناف ما تولاه في بحثه الاستاذ الفاضل حسن الشريف . قال :

« ان الفرنسويين لا يترددون عند الحاجة في تعديل اجروميتهم بل مفردات لغتهم بغية التيسير والتسهيل » ثم استشهد على صحة ما قال بالفاظ قليلة العدد جدًا قرر الفرنسويون اعادتها الى القاعدة العمومية عندهم في جمعها وتذكيرها وتأنيثها ومنها chou, hibou, caillou واخواتها وهي سبع مفردات . ومنها كلمات délice, amour, orgue والعددان cent, vingt مع جمع اسماء العلَم . وقد فاته ان هذا الشيء الذي قبلوا تعديله لا يبلغ في العدد والصعوبة جزءا من مئة جزء من الباقي عندهم في ابواب الشواذ والسماعيات . وسأشير الى ذلك اشارة اوضح في ما يلي عند الموازنة بين مصاعب لغتنا ومصاعب لغتهم . ولو ان اخانا المقترح اشار علينا بتعديل واحد في المئة من قواعد لغتنا او اثنين في المئة او خمسة في المئة ، لسكتنا وقلنا لعله على حق وصواب ، ولعل مطلبه لا يجني على جوهر لغتنا وطابعها وكرامتها ، بل ربما افادها وافاد ابناءها اذا كان الشيء الزهيد المطلوب تعديله غير داخل في صلب اللغة وصميم الادب العربي بل يمكن اجراؤه على بعض السماعيات التي برزت عندنا على حواشي اللغة والادب مثل باب النحت ، واحكام الوقف ، والامالة ، والتضمين ، وتعيين حدود ورسوم لما يجوز لنا نقله بنصه من الامثال والعبارات المجازية عند الاجانب وما لا يجوز لنا الا نقل مؤداه دون حرفه واسلوبه ، الى ما شاكل ذلك من المباحث الاضافية . ولكن اخانا المقترح اراد ، على ما يظهر من تمثيله وتقديره ، ان يعدل من صميم القواعد في لغتنا خمسين في المئة او اكثر بحيث يتنكر وجهها وتنقلب رأساً على عقب . وهذا تعديل بعيد عن العدل لا تحمله ارض العربيَّة ولا سماؤها .

* * *

وصلنا الى الموازنة ، ولو بوجه تقريبي ، بين مصاعب لغتنا ومصاعب اللغة الفرنسية التي اكثر المقترح من ذكرها في بحثه والتدليل على سهولتها وبساطتها . ولا شك ان الحكم بشأنها يقاربه الحكم بشأن غيرها من لغات غربي اوربة فكلهن اخوات او بنات اعمام متحدرات في انسابهن عن اللاتينية واليونانية القديمة .

اما مصاعب قواعد العربية التي تزيد على ما يقابلها في الفرنسوية فهي في الامور الآتية :

الإعراب ، وجمع التكسير ، واختلاف حركة عين الفعل المجرد الثلاثي . وفي تفاصيل عدة ابواب اهمها الاعلال ، وموانع الصرف ، واحكام النواصب والجوازم ، والنداء وملحقاته ، والاستثناء ، والعدد ، والتنازع ، والاشتغال .

واما مصاعب الفرنسوية التي تزيد على ما يقابلها في العربية فهي هذه : الهجاء — وقد غلب الاصطلاح على تسميته املاء — وتصريف الافعال ، واستعمال ازمنة الفعل اي صيغه ، والمؤنث المجازي ، والنسبة ، والتصغير ، واسم المكان والزمان ، واسم الآلة ، وتبعية الاسم المشتق ، اي le participe présent ، لما يصحبه جمعاً وتذكيراً وتأنيثاً . واحوال كثير من الالفاظ التي نصّ عليها من النحو الفرنسوي قسم خصائص المفردات المسمى عندهم « سنتاكس Syntaxe » .

فالهجاء ، او رسم الحروف ، او الاملاء ، لا ضابط له في اللغة الفرنسوية بل تكاد كل كلمة يستقلّ هجاؤها بنفسه ، وقد ينطبق على كيفية النطق بها ، وقد لا ينطبق . فهناك من المصاعب تلال وجبال . وبديهيّ ان صعوبة الهجاء تتولد عنها صعوبة القراءة في كثير من الحالات . واما الهجاء العربي فايسر منه مثالاً بعدة درجات . لان اللفظة عندنا تكتب حسب النطق بها . ويخرج عن ذلك احوال يمكن التلميذ استيعابها نظرياً في ثلاثة او اربعة ايام ثم التدرّب عليها عملياً في اسبوعين او ثلاثة اسابيع . لانها تنحصر في كتابة الهمزة ، والالفين المقصورة والممدودة ، والتائين المربوطة والمبسوطة ، وفي ما يُقرأ ولا يكتب وما يُكتب ولا يقرأ من الفاظ لا تزيد على ثلاثين لفظة ، وفي حذف حرف العلة من آخر الامر المتصل للمفرد المذكر المخاطب ، ومن آخر المضارع المتصل المجزوم . ولا اكون مبالغاً اذا قلت ان الهجاء في الفرنسوية يقارب في صعوبته صعوبة الاعراب في العربية .

ثم لا ننسَ ان بعض لغات الفرنجة ذات اعراب ايضاً ومنها الالمانية والروسية والبولونية واليونانية . ولا ضابط في الفرنسوية لمعرفة المؤنثات المجازية ، واما في العربية فامرها سهل لانها محدودة يطلع الدارس عليها وعلى ما يجوز تذكيره وتأنيثه .

وتصريف الافعال في الفرنسوية يشذ عن قواعده العامة نحو ٢٠٠ فعل كلها كثيرة الاستعمال . واما تصريف الافعال عندنا فلا تعترضه هذه العقبات ، وانما يعدل بعضها بتأثير الاعلال الذي ذكرناه في مصاعبنا الخصوصية فليس من الحق ان يحسب علينا مرة ثانية في التصريف . ثم انه عندنا فوق ذلك ملاحظات يسيرة بشأن افعال قليلة تكاد تنحصر في ما يأتي : اكلَ . اخذ . سأل . أتى . امر . رأى . أرى . وكلها خفيف خطبهـا ، فالبون شاسع بينها وبين شذوذ متتي فعل عند الفرنسويين في كثير من صيغها .

واستعمال ازمنة الفعل الفرنسوي les temps له عدة احكام وقيود مستريح منها دارس اللغة العربية .

والنسبة عندهم تأتي على قوالب مختلفة ، واحياناً تختلف النسبة عن اللفظ الاصلي اختلافاً عظيماً منشأه ، على ما زعموا ، الرجوع حينئذٍ الى اصل اللفظ في اليونانية او اللاتينية ، فهم يقولون : quotidien في النسبة الى jour ; hebdomadaire في النسبة الى semaine ; mensuel في النسبة الى mois . واما النسبة في ما عدا ذلك فهي متنوعة الادوات ، وهكذا في النسبة الى Turquie يقولون turc ؛ والى France يقولون français ؛ والى Belgique يقولون belge ؛ والى Chine يقولون chinois ؛ والى Egypte يقولون égyptien ؛ والى Chypre يقولون chypriote .

واذا خرجنا عن التمثيل بالمدن والممالك وجدناهم في النسبة الى histoire يقولون historique ؛ والى guerre يقولون guerrier ؛ والى paix يقولون pacifique ؛ والى lettre يقولون littéral ؛ والى littérature يقولون littéraire ؛ والى société يقولون social الخ .

وهكذا شأنهم في اختلاف الصيغ والقوالب للتصغير ، واسم المكان والزمان ، واسم الآلة مع ان كل باب من هذه الابواب عندنا له قاعدة ثابتة لا يشذ عنها الا بضع الفاظ مذكورة في آخر الباب يمكن التلميذ الذكي ان يحفظها في دقيقتين والتلميذ البليد في ربع ساعة .

بقي علينا ان نذكر المصاعب التي تتساوى فيها اللغتان او تتقاربان ، وهي هذه :

تصريف الفعل مع المزيدات (في العربية فَعلَ أفعل فعّل فاعلَ تفعّل الخ وفي الفرنسوية ادخال الزوائد les affixes على اوائله او اواخره مما يسمونه سوابق ولواحق : préfixes et suffixes) . التمييز بين الافعال اللازمة ، والافعال المتعدّية والافعال المستعملة على الوجهين . معرفة حرف الجر الذي يطلبه الفعل اللازم . صيغ المصدر صيغ الصفة المشبهة . — فهذه الابواب اوزانها سماعيّة في كلتا اللغتين .

ومن هنا يرى المنصف المتأمل ان صاحب الاقتراح اشتط كثيراً في حكمه المستعجل حين قال : ان مصاعب اللغة الفرنسوية لا تبلغ عشر معشار المصاعب في اللغة العربية . وكذلك حين قال : ان دارس العربية هو مثل رحالة الى احد القطبين او الى مجاهل القارة السوداء ، ودارس غيرها من لغات العصر هو مثل سائح موفق يسرح ويمرح في بلاد جميلة راقية سهلة المواصلات .

* * *

ومحصّل القول ان الاستاذ الفاضل حسن الشريف اقترح ادخال كثير من الحذف والتغيير على قواعد العربية بقصد تسهيل دراستها ، وهو يحسب هذا الصنيع اصلاحاً وتجديداً مفيداً . واما انا فاستنكره واعده غارة شعواء . وستندي الاسباب الآتية :

اولاً — ان تحصيل العربية ليس صعباً الى الحد الذي هوّل به المقترح ، وتوهّم ، واوهم ، ما دمنا نرى رأي العيان دراسة سبع او ثماني سنوات بعد اجتياز الدروس التمهيدية كافية لاكساب الدارس درجة حسنة مقبولة في اللغة العربية . وهكذا شأن الطلاب الدارسين غيرها من اللغات الحية .

ثانياً — ان الاغارة عليها بالصورة التي يطلبها المقترح تقضي على جمالها وخصائصها ، وتجني على كرامتها ، وتحرمها كثيراً من الاتساع الذي يسهل على ناظم الشعر مهمته ويساعده على السلاسة والمتانة . واللغة العربية لغة شعرية بالدرجة الاولى .

ثالثاً — ان الاغارة المطلوبة تقطع الصلة الادبية بيننا وبين اسلافنا من

فصحاء العرب فلا نفهم كلامهم على وجهه الصحيح لاسيما دقائقه ، وفي جملة ذلك القرآن وكتب الحديث والفقه والشريعة . وهذه الكتب النفيسة لا يستغني عن اغتراف فوائدها الاديب العربي ولو كان غير مسلم . فما قولك بالمسلمين العرب وهم تسعة اعشار الامة العربية .

رابعاً — لم تزَ اولياء لغة من اللغات الحية صنعوا بلغتهم الصنيع الذي يرضاه المقترح للغته العربية . ففي قواعد هذه اللغات مصاعب وعقبات جمة من شواذ وسماعيات واحكام وقيود متعدّدة آخذ بعضها برقاب بعض . لم يفكر اصحابها بالاغارة عليها حذفاً وتغييراً ، مع انهم لو ارادوا الاقدام على ذلك لم يجدوا واقفاً في طريقهم من العوائق والتقاليد وحرمة التاريخ والمحذورات ما يجده ابناء لسان مضر المبين .

* * *

هذا ما عنَّ لي الساعة ايراده . وامضى سلاح لي فيه الاخلاص والاجتهاد . والله الهادي الى الصواب .